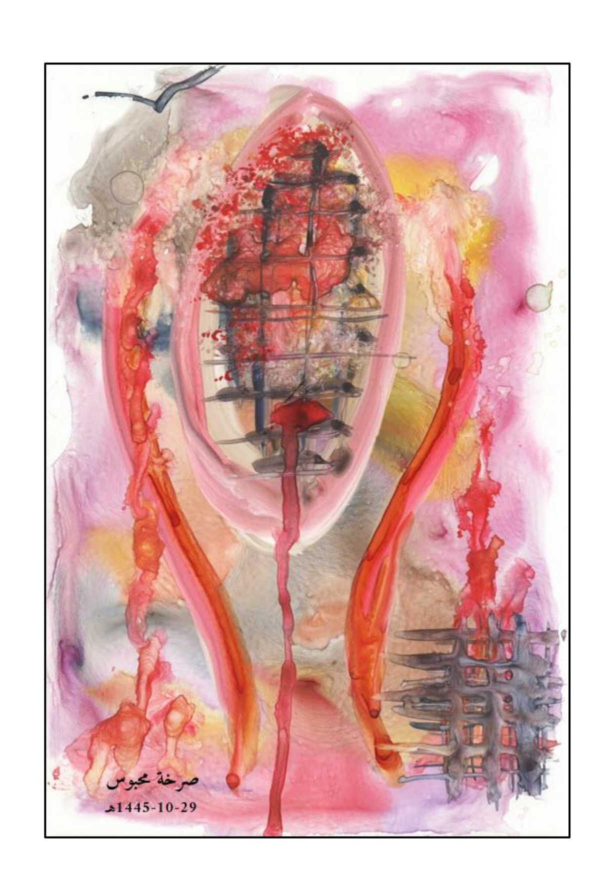
استشارة طفلة سجين

حلمي صابر - شوال ١٤٤٦هـ

____



تذكرتكِ اليوم وبكيتُ

ماذا أفعل ؟ كيف أطيبُ خاطرك ؟

أخبريني ، فأنا لا أعرف

فقبل أيام ، طلبتُ كتابا من بلد عربي

قال لي صاحب المكتبة : كيف أرسله إليك ؟!

لم يكن متسائلا ، كان مستنكرا باستفهامه ظنَّ بأنني في بلد عربي ، وأنا كنت متعجبا

يا صغيرتي استشيركِ : أليس ثمة إلا سبيل واحد

أولا : نستعينُ بربنا ونرفع إليه وحده أيادينا . لا نفعل ما يفعله الصوفي والقبوري والرافضي

ولن نفعل فعلَ خطيب الجمعة الذي بدعائه يكتفي

أو بفعل الإمام القانت في رمضان الذي جعل القنوت دعاية سياسية كأنه لترقية يرتجي !

هو طالب علم يعرف بأن أدعية قبل أو بعد الركوع موقوفة على أدعية السنة

لا يضاف إليها ولا تطويل ولا ترنيم ولا موشحات شامية

وفسحتِ السنة النبوية بأن يدعوَ المصلي بما شاء قبل التسليم

أما بعد الركوع وقبله فمقيد بنصوص السنة

وفي فوضى القنوت والأدعية ، سُرَّ الجميعُ بالدموع المنسكبة

كتلذذ الصوفي حينما دار وقفز ورقص وتمايل. كل هؤلاء مصدر حكمهم الشرعي : اللذة

وإمام آخر دعا لمن بنى المسجد ، والنساء طلبنَّ من الإمام أدعية برسائلهن

لك أن تعنون رسائلهنَّ : ما يطلبنَّ المصليات

غابَ العلماء خوفا ، وصمتَ الآخرون حكمة

وحُبِس آخرون إفتراءً

وعبث بالصلاة كثير من الأئمة

دعكِ من هذا يا صغيرتي

أظنه ليس من المناسب أن نقول لرئيس السجن هذا !

ولن نطلب منه أن يوقف عبث الأئمة في صلاة التراويح والقيام

وأن يوقف الخطباء عن المديح كأن الخطبة أغنية وطنية

ولن نطلب منه أن يقول للخطباء :

من شاء أن يمدح فليبعث برقية شخصية ؛ وليستِ الخطبة متجر البرقية

عجيب ما يجري وأعجب منه بأنه يعلم ، وكأنه لا يدرِ

دعكِ من هذا يا صغيرتي

أظنه ليس من المناسب أن نقول لرئيس السجن هذا

ثانيا وعمليا : نذهب إلى رئيس السجن ونسأله سؤالا بسيطا:

مضتْ خمسةَ عشرَ عاما على أبي في السجن

فإلى متى ؟! نعم : إلى متى ؟

وليس سؤالي عن والدي فقط بل وعن المسجونين الآخرين في كل البلاد العربية ؟

دعكِ من هذا يا صغيرتي

أظنه ليس من المناسب أن نقول لرئيس السجن هذا

أخبريني ماذا نقول له ؟

نظرتُ في عينيها

يا قلبي دمعك منسكبٌ

أرجوك توقفي

انسكبَ دمعي معك

أرجوك جراحي كثيرة ، وأنتِ ووالدك في جرحي

لم يحبسوا أباكِ لأنه مجرم، إنما حُبِس لأنه مصلحٌ ورفضَ الرقصَ والتطبيعَ والمسخَ

عشنا يا صغيرتي بين أناسٍ جعلوا الإسلام الطاهر نفاياتهم

أقول : بعض الناس رمى الإسلام والشريعة ، وأحكام الشريعة بأسوأ من رميهم للزبالات

تفريط في الصلوات وتأخير ها وتضييعها

وارتكاب الموبقات : عقوق ، وربا ، وفواحش ، وخمور ومخدرات ، وغيبة وكذب ونفاق

وحقد وحسد ، وعدوات مع المسلمين من المسلمين، والاستعانة بغير المسلمين على قتل المسلمين

أليست طائراتهم بداراتنا تقصفنا ؟!.

والخطير في هذا : بأنه لا يشعر بأنه متلوث بهذه الموبقات

علينا أن نقول لرئيس السجن هذا

لا استطيع أن أدعَ هذا يا صغيرتي

ركبَ الناسُ موجاتٍ وموجات

تغيروا ، تعروا ، رقصوا ،

وزارة الإسلام صارت وزارة عصرية ، ما عادت نعرفها

لماذا تغيروا ؟! لماذا تخلوا عن الإسلام الذي يعرفونه ؟

هل الإسلام صار غربيا ليبراليا بالعهد الجديد ؟! أعلى هذا سكروا ورقصوا ؟!

الغرب والشرق والعالم كله في وحل ، كله ضائع إلا من اهتدى بالشريعة

علينا أن ننقذ الأرض من وحل الشرق والغرب

بالعودة إلى الرب الواحد الأحد الصمد

لا أصلحُ يا صغيرتي أن أذهب معك

أريد أن أصرخ في هؤلاء الأحياء الموتى

هل تظنين يا طفلة السجين الحديث مع هؤلاء ينفع ؟

نوم وأكل وتخمة ، وأقصى الطموح سيارة وسفر وفيلا

الصلاة مضيعة ، والصوم نوم ، والتراويح إلى قبل منتصف الشهر

والقيام – فقط - في الليالي المفردة

وبعد العيدِ - كعهده قبل رمضان - خلا المسجد

و مخبر المسجد مشغول بماذا الإمام دعا ليكتبه في التقرير ؟

لا أصلحُ يا صغيرتي أن أذهب معك

نحنُ كالأسرى المحبوسين ، وكأننا في أوطاننا أغنام ترعى

أكل ونوم واجترار مشاكل الاقتصاد والسياسة ، ومشاكل أنفسنا ثم ننام وننسى

والأمس واليوم كالغد كله كلام

همومنا هموم الغنم والأبقار أكل وعبث ومرعى

وفيس بوك وتويتر وسناب وانستجرام

لا أصلحُ يا صغيرتي أن أذهب معك

سامحيني هذا واقعنا

رفْضٌ قبيحٌ صارخ للشريعة

واستدراك وسخرية علنية صريحة على أحكام ربنا في صحفنا

لم اقصد هزء الشرق والغرب فهذا متوقع منهم

إنما قصدتُ أنفسنا

أليس هذا واقعنا ؟!

واثق بأن النصر قادم يا صغيرتي ، لكنه يؤسفني بأننا من صناع الهزيمة

مسحتِ الصغيرة دمعي وقالت لي : لا تبكِ ؛ فيكفي بكائي على أبي

وأضافت الصغيرة وهي تبتعدُ عني :

لا يصلح هذا الكلام لمدير السجن يا عمي

على الجدار أسندتُ ظهري

محتارا متسائلا : أليس هذا واقعنا !

ويدايَ بين رأسي ، وبلعتُ لساني وصمتي

نادتِ الصغيرة من بعيد : يا عمي لا تسلْ عن أبي

بغيرِ توقعٍ ، هرولتْ مسرعةً نحوي ، وهمست وصوت نَفَسُها في أذني: إذا أخذوك فمن يسألُ عني !

تركتني ؛ ونشجتُ نشيجا وانفجرَ الدمعُ من عيني

انتهى